(٤٥) ودين الله واحد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: وَدِينُ اللهِ في الأرضِ وَالسَّماءِ وَاحِدٌ، وهُو دينُ الإسْلاَمِ، قال الله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران:١٩]، وقال تعالى ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة:٣]. وَهُو بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ والتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الجَبْرِ وَالقَدَرِ، وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالإيَاسِ. فَهَذَا دينُناً واعْتِقَادُناً ظَاهِراً وَبَاطِناً. وَنَحْنُ بُرَآءٌ إلى الله مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وبَيَّنَّاهُ.

الشرح:

قال: وَدِينُ اللهِ في الأرضِ وَالسَّماءِ وَاحِدٌ، وهُو دينُ الإسْلاَمِ: إي والله، دين الله واحد هو الإسلام، قال الله تعالى: **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ)** (آل عمران: ١٩) **(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** (آل عمران: ٨٥)، دين الله في الأرض وفي السماء، خلافاً لما يتوهمه بعض الناس، يظن أن لله أدياناً عدة، يقول: دين الإسلام واليهودية والنصرانية، الأديان الثلاثة. أو يسميها: الأديان التوحيدية. لا، أبداً، دين الله واحد لجميع أنبيائه، وهو الإسلام، ليس لله دين يقال له: اليهودية. وليس لله دين يقال له: النصرانية. **اليهودية هو ما آل إليه دين موسى ﷺ بعد تحريف الأحبار، والنصرانية هي ما آل إليه دين عيسى ﷺ بعد تحريم الرهبان،** ولهذا ذمهم الله تعالى وبرأ منهما إبراهيم ﷺ فقال: **(وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ)** (البقرة: ١٣٠)، وقال: **(أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ)** (البقرة: ١٤٠)، وأنكر عليهم مقالتهم: **(وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً)** (البقرة: ١٣٥)، أليس الأمر واضحاً –أيها الكرام– أن الله تعالى برأ نبيه إبراهيم من اليهودية والنصرانية، بل برأ إبراهيم وبنيه والأسباط الذين هم أنبياء بني إسرائيل، برأهم من اليهودية والنصرانية، فلا بد من تصحيح هذا الخطأ الفاشي في الناس حينما يظنون أن اليهودية دين لله، أو النصرانية دين لله، لا، دين الله واحد هو الإسلام، لكنه الإسلام بالمعنى العام، فالإسلام بالمعنى العام معناه **الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك،** بهذا بعث الله جميع أنبيائه، قال الله تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ)** (الأنبياء: ٢٥)، وقال تعالى على لسان كل نبي من أنبيائه كما عدهم تباعاً في سورة الأعراف، قال نوح: **(يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)** (الأعراف: ٥٩)، ثم قالها هود وصالح وشعيب، وكذا في سورة الشعراء، فدعوة الأنبياء واحدة، ولهذا كان الكفر بواحد منهم كفر بجميعهم، ألم تروا أن الله

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

تعالى قال: (**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**) (الشعراء: ١٠٥)، مع أن نوحاً هو أول المرسلين، قبل نوح ﷺ لم يأت أحد من الأنبياء، فكيف كانوا مكذبين لجميع المرسلين؟ لأن التكذيب بنبي واحد، برسول واحد، تكذيب بجميعهم، لأن دعواهم واحدة، ولهذا قال ربنا سبحانه وتعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً**) (النساء: ١٥٠، ١٥١)، فأسعد الناس بالإيمان بالأنبياء هم أهل الإسلام الذين يؤمنون بجميع أنبياء الله، (**كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**) (البقرة: ٢٨٥)، أما اليهود فإنهم لا يؤمنون بعيسى ولا بمحمد عليهما الصلاة والسلام، والنصارى لا يؤمنون بمحمد ﷺ، **وأما الإسلام بالمعنى الخاص فهو ما بعث الله به محمداً ﷺ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه**، فهو مصدق له في أخباره، ومهيمن عليه في أحكامه، مهيمن بمعنى مؤتمن وحاكم وقاض يميز ما أُدخل فيه، فكان ما جاء به محمد ﷺ هو الصورة الباقية الخاتمة لدين الله في الأرض، نسخ ما شاء الله من الشرائع، وأبقى ما شاء، وصار هو الدين الذي يرتضيه الله تعالى، وبهذا يتبين لكم معشر الكرام ومن بلغ أن الدعاوى التي تدعو إلى توحيد الأديان أو تقارب الأديان أنها دعاوى باطلة، وأنها ضرب من الكفر، فإنه لا سبيل للتواصل مع أهل الأديان الأخرى إلا بدعوتهم، هذا هو الحوار المشروع، هو أن ندعوهم إلى دين الإسلام كما قال ربنا سبحانه وتعالى: (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**) (آل عمران: ٦٤)، هذا هو السبيل الوحيد للحوار مع أهل الأديان الأخرى، لا أن نقول: نتفق، أو نجتمع على ما اتفقنا وإياكم فيه من القيم والأخلاق والمبادئ الإنسانية، ويسكت بعضنا بعضاً عن مسائل الشرك والحلول والبنوة والتثليث وغير ذلك ولا نتعرض لها، هذا خلاف المنهج القرآني الذي نصت عليه الآية آنفة الذكر، وخلاف ما كان عليه النبي ﷺ من دعوة اليهود والنصارى، فإن النبيﷺ هاجر إلى المدينة وفيها ثلاث قبائل من اليهود، فكان يدعوهم إلى الإيمان بالله وإلى الدخول في عقد الإسلام، لم يطرح عليهم مشروعاً مشتركاً أو بياناً مشتركاً، يلتقون فيه في منتصف الطريق ويتفقون على أوجه الاتفاق، وينفون أوجه الافتراق، ما فعل النبي ﷺ ذلك، قال: (**يا معشر يهود: أئتوني بعشرة منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، يرفع الله بها اللعنة والغضب الذي غضبه على كل يهودي تحت أديم السماء**)، فلم يستجب لذلك هذا العدد، وهكذا لما قدم إليه نصارى نجران وأنزلهم في مسجده وحاورهم، ونزلت نحو خمسين آية في شأنهم، لم يعرض عليهم النبي ﷺ حلاً وسطاً، أو بياناً مشتركاً، أو غير ذلك، دعاهم إلى الدخول في عقد الإسلام، وجادلهم وناظرهم، فلما بلغ الأمر منتهاه نزلت آية المباهلة: (**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ**

فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (آل عمران: ٦٦١)، فلما بلغ لهم هذا الحد خافوا وتراجعوا ورضوا بأن يدفعوا الجزية، وهكذا ظل المسلمون على مدار القرون يفتحون الأمصار ويخيرون الناس، بالدخول في عقد الإسلام، فحينئذ لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، أو يبذلوا الجزية فيحقنون بذلك دماءهم ويدعونهم على دياناتهم وعباداتهم، أو السيف، لم يكن هناك شيء سوى هذه الخيارات الثلاثة، وإنما نشأت هذه الدعوة المهجنة إلى توحيد الأديان أو تقارب الأديان في أحضان الكنيسة الكاثوليكية ومجلس الكنائس العالمي في منتصف القرن الميلادي الماضي أو قبل ذلك، لما رأوا أن الإسلام صار يغزوهم في بلادهم، وأن سلطة الكنيسة قد انحصرت، وأن المواطن الغربي تحرر من المعلومات الخاطئة التي كانت تُضخ عن الإسلام والمسلمين، وصارت أعداد كثيرة منهم يعتنقون الإسلام، فرأوا بدهائهم أن خيراً لهم أن يظهروا الزمالة بين الأديان وتقارب الأديان ويبدو لمواطنيهم وكأنهم من جنس واحد، وكلها أديان أرسلت من الله –زعموا–، فهذا خير من أن يظهروا بمظهر الند للند فيقيم كل عاقل موازنة ومناظرة بين الفريقين، فيعلمون أنهم قد خسوا الصفقة، هذا أحد دوافعهم لهذه الدعوى، ومع ذلك فإن أهل الإسلام –ولله الحمد– لم يذهبوا بعيداً خلف هذه الدعوى، وإنما استجاب لهم بعض رقاق الدين أو بعض من لهم طمع دنيوي وغير ذلك، فلا يكاد يُعرف أحد من علماء المسلمين المعتبرين قد استجاب لهم، إنما يستجيب لهذه الدعوى زنادقة الصوفية، فمن كان من الصوفية قبل بذلك، لأن هذا فرع عن عقيدة وحدة الوجود، ولذلك تجد أن الصوفية هم الذين يسارعون في قبول هذه الدعوى الباطلة ويرحبون بها، حتى إن أحدهم قال مرة في أحد المؤتمرات التي عُقدت بالنمسا، يقول مخاطباً النصارى: إنه ليس بيننا وبينكم أدنى خلاف، ولا حتى فيما يبدو أنه من المسائل الكبيرة كالحلول والتجسد[1]، فإن الشاعر[2] المسلم يقول:

إذا سكن الغدير على صفاء وجنب أن يحركه النسيم
بدت فيه السماء بلا امتراء كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب أصحاب التجلي يُرى في صفوها الله العظيم

يريد بذلك أن يقر النصارى على زعمهم بأن الله سبحانه وتعالى حلّ في المسيح، كما يزعم الصوفية بأن الله يتجلى في قلوبهم، يسوغ هذا الكفر والعياذ بالله، ولكن علماء الإسلام لا يقبلون بهذا، وعامتهم تأبى فطرهم بهذا، ويشعرون بحمد الله بالفوقية وأن دين الإسلام خير الأديان، على بساطة علومهم، لكنهم يدركون أن دين الإسلام هو الدين الحق، فلذلك لا تجد هذه الدعوى الصدى، وإنما تشوش على بعض أصحاب العقول المريضة وأصحاب المطامع الدنيوية، فالواجب على أهل الإسلام أن لا يتخلوا عن ما أمرهم الله تعالى به من الدعوة إلى الإسلام، نحن

[1] نعوذ بالله.
[2] انظر كيف يسوغ عقيدة الحلول والتجسد؟.

أسعد الناس بالحوار، بل نحن أصحاب المبادرة فيه، ولهذا قال ربنا: (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ**) (آل عمران: ٦٤)، نحن الذين نبدأهم بالدعوة، ليس المهم أن نجتمع، المهم على ما نجتمع؟ ليس المهم أن نتحاور، المهم على ما نتحاور؟ وهذه الكلمة السواء –كما ترون– لن يدعها الله عز وجل لقول فقيه ولا لتفسير مفسر، بل تولى بيانها بنفسه سبحانه، (**تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ**) (آل عمران: ٦٤)، الأمر واضح، لا يأتي أحد يقول: الكلمة السواء كذا وكذا. يقال له: دونك، قد كُفيت، الله تعالى قد بيّن الكلمة السواء، فمن أتى بغيرها فقد قال على الله بغير علم.

فدين الله في الأرض والسماء واحد، وقد قال النبي ﷺ: (**إنا معاشر الأنبياء أولاد علات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد**)، فالتنوع إنما هو في الشرائع، أما الدين فواحد، قال الله تعالى: (**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ**) (الشورى: ١٣) دين واحد (**وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**) (الشورى: ١٣)، فجميع هؤلاء الخمسة أولوا العزم من الرسل دينهم واحد (**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ**)(الشورى: ١٣)، ثم قال: (**أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ**) (الشورى: ١٣)، فدين الله واحد، إنما تتنوع الشرائع، وهذا النسخ يحصل حتى في الشريعة الواحدة، فلا عجب أن يقع نسخ: (**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ**) (الرعد: ٣٩) (**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا**) (البقرة: ١٠٦)، فالشرائع ممكن أن يقع فيها نسخ، وتمثيل النبي ﷺ بديع: (**كأبناء العلات**): أبناء العلات أمهاتهم شتى وأبوهم واحد، كذلك الأنبياء: دينهم واحد ولكن الشرائع متنوعة، حتى خُتمت بشريعة محمد ﷺ، ولهذا قال النبي ﷺ: (**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**)[1]، وتعجب حينما تجد من بعض المتأسلمين من بعض الجهلة من يقول: أنتم تنشرون ثقافة الكراهية، أنتم تكفرون غير المسلمين. سبحان الله! أنحن أكفرناهم؟ أم الله؟ أليس الله تعالى يقول: (**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ**) (المائدة: ٧٣)؟ أليس الله تعالى يقول: (**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**) (المائدة: ١٧، ٧٢)؟ كيف تدعي؟ هذا كلام رب العالمين في آخر ما أنزل من القرآن، فحدد موقفك، إما أن تكون مؤمناً فتؤمن بما قال الله وقال رسوله ﷺ، أو اختر لك ملة أخرى، أما التهويل والإرهاب الفكري والإعلام الذي تفعله فإن هؤلاء لا يغيرون الحقائق شيئاً، وعلى طالب العلم وعلى المؤمن أن يكون ثابتاً راسخاً معتصماً بالمحكم، ولا يهمه هذه الجعجعة من هؤلاء الذين يتاجرون بالشعارات وغيرها، ليعتصم بالله وليثبت ولا يهمه ما يسمع من هؤلاء، نحن أرحم بهؤلاء منك، نحن نريد أن نستنقذهم، نريد أن نخرجهم من الظلمات إلى النور، نريد أن ندلهم على ملة إبراهيم، الذين يزعمون أنهم

[1] صحيح مسلم.

ينتسبون إليه، انظر ماذا صنع النبي ﷺ لما بعث له هرقل في غزوة تبوك برجل من بني تنوخ وهم قبيلة عربية تنصرت، فقال له النبي ﷺ: (**يا أخي تنوخ أما لك في دين أبيك إبراهيم؟**)، هكذا شفقة أهل الإسلام على الآخرين، فقال: إني على دين قوم لا أدعه حتى أرجع. فضحك النبي ﷺ أو تبسم، هكذا يجب أن يكون طريقنا هو الدعوة، لا مجرد المضاحكات والمجاملات والتقاط الصور وغير ذلك، كلا، من أراد خيراً بعباد الله فليدعهم إلى دين الله.

ثم إن الشيخ بيّن وسطية هذا الدين، فهو وسط بين اليهودية والنصرانية، وبيّن وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الضلال، فأهل السنة والجماعة هم خلاصة أهل الإسلام، ولذلك هم الوسط في فرق الأمة، كما أن هذه الأمة هي الوسط بين الأمم: (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**) (البقرة: ١٤٣): أي خياراً عدولاً.

قال: وَهُو بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ والتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الجَبْرِ وَالقَدَرِ، وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالإِيَاسِ.

هو: أي دين الله، وهذه بعض صور الوسطية، فهو بين الغلو والتقصير، قال الله تعالى: (**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ**) (النساء: ١٧١)، والتقصير هو التفريط والتساهل والتضييع، اليهود أهل غلو في العبادات والطهارات، والنصارى أهل تفريط في العبادات، حتى إنه لا دين لهم يفعلونه، فقد قال لهم بولس الذي أفسد دينهم: من آمن بالمسيح فقد تبرر –أي صار باراً– وسقط عنه الناموس –أي الشريعة–. والنصارى يغلون في عيسى ﷺ، واليهود يشتمون عيسى ﷺ وبقية أنبيائهم، حتى إنهم قتلة الأنبياء.

قال: وبين التشبيه والتعطيل: أهل السنة والجماعة وأهل الإسلام وسط بين قوم يشبهون الله بخلقه، أو يشبهون الخلق بالله، **فالذين يشبهون الخلق بالله هم النصارى،** لأنهم شبهوا عيسى ﷺ بالله رب العالمين، وعكسهم أهل التمثيل الذين يشبهون الله بخلقه فيزعمون أن لله من الصفات ما للناس، ويقولون: إنما خاطبنا الله بما نعهد، فيكون له سمع كسمعنا وبصر كبصرنا ووجه كوجوهنا ويد كأيدينا. تعالى الله عما يقولون، وقد تقدم نقض ذلك كثيراً في أول هذه الرسالة.

وأهل التعطيل الذين سلبوا الله عز وجل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وقد سبق أن بيّنا لكم أنهم مراتب، وأن أشد أهل التعطيل تعطيلاً القرامطة الذين قالوا بسلب النقيضين عن الله عز وجل، ثم يليهم الجهمية الذين نفوا عن الله الأسماء والصفات، وقالوا: إنه الوجود المطلق بشرط الإطلاق. ثم المعتزلة الذين أثبتوا الأسماء وأنكروا الصفات، فأثبتوا أسماء بمنزلة الأعلام المحضة لا صفة ولا معنى تحتها، ثم يليهم بعد ذلك أصحاب التعطيل الجزئي الذين يقال لهم: الصفاتية، الذين الأصل فيهم الإثبات لكن التبست عليهم بعض شبه المعطلة من المعتزلة والجهمية ولم يحيروا جواباً ولم يعرفوا لها حلاً، فوافقوهم في تعطيل بعض الصفات الفعلية أو الخبرية، كالأشاعرة

والماتُريدية والكُلّابية وأتباع القلانسي وأتباع الحارث بن أسد المحاسبي وغير ذلك ممن يقال عنهم : الصفاتية، وهم خير ممن سبقهم.

قال: وبين الجبر والقدر: وذلك أنه تقدم انقسام الناس في باب أفعال الله، فمنهم من غلا في أفعال الله حتى سلب العبد الفعل، وهؤلاء هم الجبرية الذين قالوا: العبد مجبور على فعله، حركاته كحركات المرتعش، كالقشة فوق سطح الماء، كالريشة في مهب الريح، وضدهم القدرية الذين غلوا في إثبات أفعال العباد، حتى زعموا أن العبد يخلق فعل نفسه، وأن له مشيئة مستقلة عن مشيئة الله وفعل خارج عن مفعولات الله، وقد تقدم بيان حال هؤلاء وحال هؤلاء في حديثنا عن القدر والرد على كلا الفريقين.

قال: وبين الأمن والإياس: فإن المرجئة أهل أمن، والوعيدية أهل إياس، فمنهم من لم يأمن مكر الله، وقال: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهؤلاء غلاة المرجئة من الجهمية، وأهل الإياس الذين قالوا: من فعل كبيرة فقد خرج من الإيمان، وهو في الآخرة خالد مخلد في النار، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، فأهل السنة والجماعة وسط بين هؤلاء وهؤلاء.

قال: فَهَذَا دِينُناً واعْتِقَادُناً ظَاهِراً وَبَاطِناً: والمشار إليه هذه العقيدة من أولها إلى آخرها.

قال: وَنَحْنُ بُرَآءٌ إلى الله مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وبَيَّنَّاهُ. :

ولا شك أن هذا الذي أشار إليه الشيخ حق، وأنه يجب اعتقاده ظاهراً وباطناً والبراءة من كل ما خالفه، اللهم إلا في مواضع يسيرة استدركناها على المؤلف، أهمها مسألة الإيمان، وقد بينا أن الخطب فيها سهل، لأن مرجئة الفقهاء –رحمهم الله– يوافقوننا في الأحكام، وإن خالفونا في الأسماء.

المتن:

وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الإيمانِ، ويَخْتمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ المُخْتَلِفَةِ، والآرَاءِ المُتَفَرِّقَةِ، وَالمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ المشبَّهَةِ، والمعْتَزِلَةِ، والجَهْمِيَةِ، والجَبْرِيَّةِ، والقَدَرِيَّة وَغَيْرِهم، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والجَمَاعَةِ، وَحَالَفُوا الضَّلالَةَ، ونَحْنُ مِنْهُم بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلاَّلٌ وأَرْدِيَاءُ. وَبِالله العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

الشرح:

ينبغي –أيها الإخوة الكرام، ويا أيتها الأخوات الكريمات ومن بلغ– أن يسأل العبد ربه الثبات، فإن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء، وقد جاء في حديث شداد بن أوس أن النبي ﷺ قال: (**إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم: إني أسألك الثبات في الأمر**)، ثم ذكر بعدها ثمان جمل، لكن ابتدأ بهذه الجملة، (**اللهم: إني أسألك الثبات في الأمر**) (**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ**

الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (إبراهيم: ٢٧)، فالثبات في الأمر وهو الإسلام من أعظم المطالب، وعلى العبد دوماً أن ينشده ويسأل الله سبحانه وتعالى، بهذا سأل المصنف فقال: ونسال الله أن يثبتنا على الإيمان. لا يجوز للإنسان أن يأمن مكر الله، لا تعلم أن هذا القلب الذي يخفق بين أضلاعك يمكن أن ينقلب، ما سُمي القلب قلباً إلا لتقلبه، فلا تركن وتأنس وتسترخي وتظن أنك قد أخذت مفاتيح الجنة وأنك قد جُزت الصراط والقنطرة وصرت في قارب النجاة، لا تعلم، ولهذا يُروى يُروى أن الإمام أحمد لما حضرته الوفاة جعل ابنه يلقنه ويقول: يا أبت: قل: لا إله إلا الله. فجعل الإمام أحمد يقول: بعد، بعد. فقلق ابنه قلقاً عظيماً، فلما أفاق والده من سكرة الموت، قال: يا أبت: إني كنت ألقنك الشهادة، فتقول: بعد، بعد. قال: إنه قد عرض لي الشيطان فقال: فتني يا أُحيمد، فتني يا أُحيمد. فكنت أقول له: بعد، بعد. يعني ما دام النفس يتردد في الصدر فلا يأمن الإنسان، وهي قصة معبرة على كل حال، فعل العبد دوماً أن يشعر بحاجته إلى ربه أن يثبته على الصراط المستقيم، ومن ثبته الله في هذه الدنيا فهو حري أن يثبته عند سؤال الملكين حينما يقال: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ قال النبي ﷺ: (**فأما المؤمن فيقول: ربي الله، والإسلام ديني، ونبيي محمد**)، ثم تلا: (**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**) (إبراهيم: ٢٧).

قال: وَيَخْتمَ لَنَا بِهِ: فإن العبرة بالختام، قال النبي ﷺ: (**الأعمال بالخواتيم**)، وقد قال في الحديث الآخر: (**فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**)، كل هذا حاصل، وهو يوجب للإنسان قلقاً مباركاً يحمله على دوام اللجأ إلى الله والفزع إليه والتوكل عليه، لا مجرد قلق لا طائل من ورائه، لا، بل يُحسن الظن بربه ويسأله الثبات في الأمر وحسن الخاتمة.

قال: وَيَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ المُخْتَلِفَةِ، والآرَاءِ المُتَفَرِّقَةِ، وَالمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ : هذه الجمل أو المصطلحات متقاربة، الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية كلها تشير إلى ما خالف الحق، ذلك أن نبينا ﷺ قد قال في حديث مشهور: (**وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**):إذن ثنتان وسبعون فرقة هم الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية، وفرقة واحدة ناجية، هم أهل السنة والجماعة، فإنما سُميت ناجية لأنهم نجوا في الدنيا من البدع والضلالات، وينجون في الآخرة من النار، جعلنا الله وإياكم منهم.

قال: مِثْلَ المشبَّهَةِ: مثّل لأهل البدع والأهواء والتفرق. قال: المشبهة: وقد بيناهم آنفاً.

قال: والمعْتَزِلَةِ: سموا معتزلة -كما يقال- لأن مؤسس مذهبهم واصل بن عطاء اعتزل حلقة الحسن البصري في مسجد البصرة، وأوى إلى سارية في المسجد يقنن مذهبه الباطل في حكم مرتكب الكبيرة، وأوى إليه عمرو بن عبيد وغيره، فكانوا قد اعتزلوا أهل السنة، حتى جاء أبو الهذيل العلاف وصنع لهم كتابين جمع فيهما مذاهبهم، والمعتزلة يدورون حول أصول خمسة يسمونها: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهن أسماء صالحة حسنة، لكنهم يخفون من ورائها شراً عريضاً، فحينما يقولون: التوحيد. يقصدون به نفي الصفات، وحينما يقولون: العدل. يقصدون به إنكار القدر، وحينما يقولون: المنزلة بين المنزلتين. وهو لفظ مبتدع محدث يريدون به إخراج مرتكب الكبيرة عن مسمى الإيمان وجعله في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، وحينما يقولون: الوعد والوعيد. فإنهم يقصدون بذلك إنكار الشفاعة وأن كل من توعده الله فواجب على الله -في زعمهم- أن يُنفذ فيه وعيده، فهم يوجبون على الله ما يرونه حسناً، ويلزمون الله بترك ما يرونه قبيحاً، فهم مشبهة الأفعال، وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنهم يقصدون به إلزام الناس بمذهبهم الباطل، واستباحة الخروج على الولاة، هذه أسماء بها باطلهم، **والجهمية** المنسوبون إلى جهم بن صفوان السمرقندي وهو رأس التعطيل في هذه الأمة، وإن لم يكن هو أول من قال به، فإن أول من قال بالتعطيل في هذه الأمة الجعد بن درهم، وقتله خالد بن عبد الله القسري أمير العراقين بعد استفتاء علماء زمانه، فذبحه يوم عيد الأضحى كما تُذبح الشاة، وقال: إن الجعد زعم أن الله ما كلم موسى تكليماً، ولا اتخذ إبراهيم خليلاً. وتلقف مقالته الجهم بن صفوان، ونشرها في الآفاق وناظر عليها، إلى أن قُتل سنة مائة وثمان وعشرين في فتنة جرت في بلاد خراسان، فقتله سَلْم بن أحوز صاحب شرطة بن سيار، ونُسبت مقالة التعطيل إليه لأنه هو الذي أشهرها.

قال: والجَبْرِيَّةِ، والقَدَرِيَّة وَغَيْرِهم: قد ذكرناهم آنفاً.

قال: وَغَيْرِهم، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والجَمَاعَةِ: أما العمود الفقري لهذه الأمة فهم أهل السنة والجماعة من المحدثين والفقهاء والعباد والصالحين -بحمد الله-، ومن سواهم فهم زعانف ليسوا بشيء، الأمة -بحمد الله- هم أهل السنة والجماعة، هم السواد الأعظم.

قال: وَغَيْرِهم، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والجَمَاعَةِ ، وَحَالَفُوا الضَّلالَةَ، ونَحْنُ مِنْهُم بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلاَّلٌ وأَرْدِيَاءُ. وَبِالله العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ: وبهذا تمت هذه العقيدة المباركة العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي، رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجزى ابن أبي العز الحنفي خير الجزاء، حيث كان خير من شرحها وبيّنها، ولا يزال شرحه عليه المعول لهذه الرسالة، فينبغي لطالب العلم أن يستفيد من شرحه ويرجع إليه،

فقد أودعه خيراً كثيراً، وجمع فيه من النقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومن سبقهما فوائد كثيرة، فثبت علمك أيها القارئ بالرجوع إلى هذا، وأدمن قراءته حتى يُصبح سجية لك، وينطلق به لسانك وبيانك.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم علماً نافعاً وعملاً صالحاً وتجارة لا تبور، وأن يحسن عاقبتنا في جميع الأمور ، وأن يرزقنا الثبات في الأمر، والعصمة والتوفيق. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.